الرجل والمرأة

٣

بقلم الأستاذ حامد عبد القادر
وكيل كلية أصول الدين

البنون والبنات فى ميدان الحياة المدرسية

— ٥ —

تكلمنا فى العدد السابق كلاما إجماليا عن الفروق الجنسية الجسمية ، والعقلية والخلقية العامة ، وفى هذا العدد نتصدى لبحث موضوع شائق شائك ، طالما اختلف فيه العلماء ، وتضاربت فيه الآراء ، وخاضت فى بحثه أقلام الأدباء فى عصرنا هـذا ، ذلك هو الموازنة بين البنين والبنات من ناحية الذكاء أو المقدرة العقلية . وبعبارة أخرى نريد فى هذا المقال أن نبين للقارىء ما إذا كان استعداد الولد لكسب العلوم والمعارف وتعلم المواد الدراسية على اختلافها أرقى من استعداد البنت أو دونه أو مساو يالله.

وإنما قلنا « فى عصرنا » لأن الموضوع الذى نحن بصدد بحثه لم يكن موضوع جدل ونزاع جدى بين العلماء فى العصور الغابرة ؛ إذ قد كان من المسلم به فى تلك العصور أن مقدرة المرأة العقلية لا يمكن أن تضاهى بمقدرة الرجل ، وأن الصبية ليست شيئاً يذكر بجانب الصبى .

ولا يكاد أحد منا يجهل آراء روسو - المربى الفرنسى الشهير - فى طبيعة المرأة العقلية ، ومنزلتها فى المجتمع ، وقيمتها بالنسبة للرجل ، وما يجب أن تتعلمه من المواد وما لا يجوز .

— ٦ —

أما فى العصر الحاضر فقد تبدلت الحال غير الحال ، وبرزت المرأة فى كثير من ميادين الحياة الخارجية ، وهبّت تطالب بحقوقها ، وتبرهن على كفايتها العلمية ومهارتها العملية . وقد بلغت فى المباهاة بمقدرتها حداً جعل المدافعين عنها يدعون أنها إن لم تفق الرجل فليست بأقل منه فى الاستعداد للقيام بأى عمل يقوم به . يقول هؤلاء فى التدليل على آرائهم: أليس من النساء المبرزات فى عالم العلم والأدب ؟ أليس منهن من وقفن مع الرجال جنبا لجنب أمام منصة القضاء للدفاع والمقاضاة ؟ أليس منهن الطائرات الفائقات ، والسياسيات المحنكات ، والمعلمات البارعات ، والطبيبات الماهرات ؟ أليس منهن من يدرن المحال التجارية والصناعية العظمى بدقة وقوة وعزيمة ؟ ألم يقم بعضهن إبان الحرب الكبرى الماضية بالمدهشات ؛ كقيادة السيارات العامة ، والمركبات الكهربائية ، وإعداد الذخائر ، والتجسس ، ومعالجة المرضى ، وأسو الجرحى بكل حذق وجد ؟ ثم ألم نسمع أن نتيجة الامتحانات العامة فى مدارس البنات خير منها فى مدارس البنين ؟

— ٧ —

كل هذه الأعمال التى لم يكن من المنتظر وقوعها من المرأة جعلتها تغير رأيها فى نفسها ، وأخذت فى الوقت نفسه بألباب الباحثين ، ولفتت أنظارهم ، فهبوا يتساءلون عن حقيقة الأمر ، ويحاولون الوصول إلى سره المغلق ، وأخذ بعضهم يسأل بعضاً : هل الرجل حقيقة يفوق المرأة ؟ وهل المرأة — كما كان يقال — حقيرة الشأن قليلة القيمة إذا قيست بالرجل ؟

والناس لا يزالون مختلفين فى الجواب عن هذا السؤال وما أشبهه . فمنهم « الروسويون » الذين لا يفتئون يرفعون أصواتهم من فوق المنابر ،

ويجولون بأقلامهم على صفحات المجلات والصحف السيارة ، منادين باستصغار شأن المرأة وتحريم تعليمها فى المدرسة ، وإرغامها على أن تلزم حجرات منزلها . وتعكف على تربية أبنائها وخدمة زوجها ومنهم العاطفيون ، المدفوعون أمام تيار العاطفة النسوية ، الذين استهواهم حب الدفاع عن الجنس اللطيف ، فملك عليهم قيادهم . وهؤلاء ينادون بمساواة المرأة للرجل والصبى للصبية فى كل شىء ، ويقولون إنه لاحرج علينا إذا جمعنا بين البنين والبنات فى حجرات الدراسة ، وساحات اللعب ، ومحال الأعمال ، وميادين القتال .

ومنهم فريق ثالث يتبع سبيلا وسطا ؛ فلا ينضم إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، بل يقول بوجوب تعليم البنت بحسب استعدادها الخاص ، وإعدادها لمستقبلها ووظيفتها الهامة فى الحياة أتم إعداد ، وفق ما تمليه علينا طبيعتها ، وترشدنا إليه تجارب من سبقنا .

— ٨ —

إنك لو بحثت وأمعنت فى البحث لوجدت المدافع عن المرأة ، أو الثائر ضدها الخارج عليها أحد ثلاثة : متهجم غير مستند فى أقواله وقضاياه العامة إلى أساس علمى صحيح ، فتراه يغلو فى القول ، ويلقيه جزافا غير مؤيد بدليل نظرى أو عملى — وغرّ قاصر النظر ، يتمسك بظواهر الأشياء من غير تمحيص ، ويستدل على ما يقول بما أخرجه عقل الرجل وما صنعته يد المرأة قديماً أو حديثاً ، وما وصل إليه كل منهما من ثقافة علمية أو خبرة فنية — ومحقق مدقق يود الوصول إلى الحقائق بطريق التجارب الدقيقة ، والقيام بالأبحاث العلمية العميقة فى ضوء العلوم الحديثة ولا سيما علم النفس . أما الأول فانى أربأ بمن يسمعه أن يأبه له ، أو يصغى لقوله ، أو يقيم لكلامه وزنا ؛ لأنه إما جاهل مغرور ، وإما مغيظ محنق

موتور ، وإما متمسك بمبادئ عتيقة بالية أكل عليها الدهر وشرب ، وبرهنت على فسادها الأيام . وأما الثانى : فحرى أن تغره المظاهر الخارجية ، فيظن أن أعمال الرجل والمرأة فى الماضى والحاضر راجعة كلها إلى اختلافهما فى المواهب العقلية فقط ، غير مكترث بما قد تحدثه الظروف العامة ، والفرص والتجارب ووسائل التربية والظروف البيئية الخاصة من فروق عملية بين الرجل والمرأة . وأما الثالث : فاذا وجدته فتمسك بأهدابه ، وسر فى طريقه ؛ فلعلك تعثر معه على الضالة المنشودة ، وتصل بمعونته إلى الغاية المقصودة .

— ٩ —

ولا أخالك أيها القارئ بعد قراءة ماتقدم إلا قائلا متسائلا : وهل هناك من ينتمون إلى الصنف الثالث المحقق المدقق ؟ الجواب نعم ؛ فهناك من المربين وعلماء النفس من عنوا بهذا الموضوع عناية كبيرة ، ودرسوه دراسة مستفيضة ، ولم يكن غرضهم تعرف مابين البنين والبنات من فروق فى المقدرة العقلية العلمية فحسب ، بل كان من أغراضهم أيضاً معرفة ما اذا كانت مناهج الدراسة وطرق التدريس تصلح للبنين والبنات معا ، أو لا بد من اختلافها إذا تبين لهم اختلاف البنت والولد فى المواهب والاستعداد العقلى وطرق كسب المعرفة .

وقد توسلوا فى أبحاثهم بوسائل متعددة ، وإنى ذاكر لك من أهم تلك الوسائل ما يأتى : —

أولا : ملاحظة التلاميذ فى المدارس ، وتعرف مقدار عنايتهم بكل مادة من مواد الدراسة ، وذلك بطريقتين «أولاهما» مراقبة البنين والبنات فى أثناء قيامهم بأعمالهم المدرسية ، «وثانيتهما» سؤالهم عن أنواع الكتب التى يميلون إلى قراءتها .

فبالطريقة الأولى : وجد أن الفروق التى بين الجنسين من الناحية الادراكية تظهر فى المواد التى تحتاج إلى بحث فكرى واستنباط وابتكار ؛ فالبنات يساوين البنين بل يفقنهم فى السنين الأولى من سنى الدراسة التى يكون التعليم فيها محصوراً فى دائرة المحسوسات ؛ إذ أنهن يستظهرن المعلومات بسرعة وسهولة ، ويعنين بالنظافة والنظام ، والدقة فى عمل التمرينات التى يعملنها ، ويقدرن الجمال تقديرا تاما ؛ ولذا يولعن بالأدب قبل أن يولع به البنون ، ويجدن الكتابة الانشائية فى أول الأمر لاعتمادهن على محاكاة ما قرأن فى كتب الأدب ، أو على ما كتبه لهن الأساتذة : وهذا يظهر بنوع خاص فى القصص ، فالحكاية التى ينشئها الغلام تكون فى الغالب مفككة الأوصال ، أما الفتاة فتنسج حكايتها نسجا محكما مترابط الأجزاء كامل العناصر ، وتسير بالقارئ إلى نقطة الموضوع الهامة سيرا منسجما . ولذلك ترى أن الغلمان يكذبون ولكن كذبهم يظهر ؛ لأنهم لا يجيدون التلفيق ، أما البنات فيفقنهم فى إجادة هذا الفن . وقد دلت التجارب على أن كذب البنات أكثر من كذب البنين ، وأن كذبهن يتأثر فى الغالب بنزعات وأغراض شخصية ، فقلما تكذب البنت لانقاذ غيرها ، أما الولد فكثيرا ما يفعل ذلك ، والحق أن الصبى المربى تربية حسنة لا يكذب مطلقا إلا لهذا الغرض ؛ فالأولاد تنقصهم المهارة والتظاهر بمظهر المتأكد عند الكذب ، أما كذب البنات فمنمق ملطف ، موضوع بصيغة توهم السامع أن ماقيل هو الحق الصراح . وهذا فرع من المهارة اللغوية ، وهو أساس الفرق بين الرجال والنساء فى وصف الحوادث الخارجية ، وتقدير الأعمال ؛ فالحق عند الرجال ما كان مطابقا للواقع - بقطع النظر عن شكله أو صيغته . أما النساء فالذى يظهر أنهن يخدعن بالشكل الظاهرى وبالصيغة والانسجام والزخارف .

وبالطريقة الثانية : وجد تيرمان أن الكتب التي يميل البنون إلى قراءتها وهم فى الحادية عشرة هى : كتب المغامرات ، والأقاصيص المشتملة على مفاجآت غريبة ، وكتب الميكانيكا والطيران والكهرباء ، وكتب الاختراع والكشف ، وكتب العلوم الطبيعية وغيرها .

أما البنات فيملن فى تلك السن إلى القراءة فى كتب العشق ، وفى كتب القصص المتعلقة بالحياة المنزلية والمدرسية ، وفى الكتب المتعلقة بحياة الحيوان والنبات والأزهار أو بفلاحة البساتين . ولا يملن إلى الكتب العلمية أو الميكانيكية .

وقد وجد تيرمان أيضاً أن البنين فى الرابعة عشرة يميلون كثيرا إلى قراءة المجلات ، ويحبون القراءة عن الرياضة البدنية وعشاقها وأبطالها ، ويزداد شغفهم بكتب الميكانيكا ، وبتراجم الرجال ، وكتب الأسفار وحكايات الغابات والأدغال .

ويميل البنات فى هذه السن إلى القراءة فى المجلات أيضاً ، ويشتد ولعهن بالأقاصيص الغرامية والشعر ، ولا يحفلن كثيرا بحكايات المغامرات ولا بكتب الأطفال .

وقد اختبر « جوردان » أحد علماء أمريكا عددا من البنين والبنات المختلفين فى السن ليعرف أنواع الكتب التى يحب مطالعتها كل فريق فوجد أن معظم البنين يميلون إلى قراءة كتب المغامرات ، وأن كثيرا منهم يميلون الى كتب المزاح والفكاهة ، أما البنات فقد وجد أنهن فى الغالب يملن إلى قراءه الكتب الخرافية المكتوبة عن الصغار أو عن الكبار من من بنى الإنسان .

فخلاصة ما يستنبط من هذه الأبحاث المستندة إلى الملاحظة داخل المدرسة ، وسؤال التلاميذ عن ميولهم أن البنين يفوقون البنات فى المواد

التى تحتاج إلى تفكير وبحث ، وأنهم يميلون إلى كتب المغامرات المشتملة على أعمال ومفاجآت غريبة ، وأن البنات يفقن فى الفنون والمواد التى تحتاج إلى حفظ واستظهار وقوة خيال ، وأنهن يولعن بكتب الغرام والقصص الخرافية الخيالية

— ١٠ —

ثانيا : فحص نتائج الامتحانات العامة المشتركة بين البنين والبنات .

وهنا يجب أن نتساءل هل يصح الاعتماد على نتائج الامتحانات فى الحكم على مقدرة البنين والبنات من الناحية العلمية ، والموازنة بينهما من حيث المواهب العقلية ؟

يرى فريق من المربين بحق أن هذه الوسيلة لا ينبغى الاعتماد عليها وحدها فى إصدار أحكام صحيحة فى هذا الصدد ، وهم يؤيدون هذا بأن النجاح فى مثل هذه الامتحانات لا يتوقف على المواهب العقلية والمقدرة الفكرية فقط ، وإنما يتوقف على عوامل أخرى كثيرة منها :

(١) حسن اختيار ناظر المدرسة أو ناظرتها لمن يتقدمون للامتحان النهائى فى بعض المدارس دون بعض ، فتكون النتيجة حسنة فى الحالة الأولى ، رديئة فى الحالة الثانية ، وتكون الموازنة حينئذ غير صحيحة لأنها تكون بين فريق يعدون من النابغين فى مدرسة وبين فريق فيه نابغون وأغبياء ومتوسطون منتمون إلى مدرسة أخرى .

(٢) روح المصححين وحالتهم النفسية عند التصحيح ؛ فأنت لا تضمن أن تكون الدرجات التى تعطى فى المواد المختلفة تصور الحقيقة تمام التصوير ، وتدل على مقدرة الممتحن تمام الدلالة فى جميع الحالات .

(٣) مقدار الجهد والعناية والوقت التى يبذلها الممتحن استعدادا للامتحان ؛ فأنت تعلم أن الذكى قد يخفق أو يتأخر لإهماله ، فى حين

أن من هو أقل ذكاء قد يفوق أقرانه لجهده وعنايته وتمام استعداده للامتحان .

(٤) مقدار عناية المدرسين بتدريس المواد المختلفة ؛ فانت ترى وتسمع أن مقدرة المدرس تقاس بما حصل عليه تلاميذه من الدرجات فى مادته وتعرف أن بعض التلاميذ إذا انتقل من مدرسته إلى غيرها تحسنت حالته العقلية ، وما ذلك إلا لأن مدرسيه فى المدرسة الثانية أقدر وأحسن طريقة من مدرسى المدرسة الأولى .

(٥) حالة بيئة التلاميذ المدرسية أو المنزلية ؛ فقد يكون التلميذ ذكياً مجداً نشيطاً يأخذ العلم عن طائفة من مهرة المدرسين ومع ذلك لا ينجح فى الامتحان ؛ لأن بيئته المدرسية أو المنزلية غير صحية لا تسمح له بأن يسيغ العلم ، ولا بأن يقبل على التعلم بصحة قوية وأعصاب متينة .

(٦) مقدار ميل التلميذ إلى مواد الدراسة ؛ فقد يكون السبب الوحيد فى رسوب التلميذ فى إحدى المواد ، أو حصوله على درجات قليلة فيها أنه لا يجد ميلا نفسيا نحوها ، وأنه يتعلمها وهو مكره مغلوب على أمره .

(٧) مقدار ارتباط المادة الخاصة بمادة يجيدها التلميذ ؛ فالذى يفوق فى الحساب جدير أن يفوق فى الهندسة والجبر ، والذى يفوق فى هذه المواد الرياضية خليق أن يفوق فى الطبيعة والكيمياء والميكانيكا ، لاتصال هذه المواد بعضها ببعض ، ومن يفوق فى الرسم يكون أقرب إلى إتقان الخط والأشغال اليدوية .

(٨) حالة الممتحن الجسمية والعصبية عند أداء الامتحان ؛ فمن المشاهد أن بعض الطلبة الأذكياء المجيدين المستعدين للامتحان تمام الاستعداد قد يعتريهم وهم وخوف فينتابهم المرض ، وقد يأتون إلى مكان الامتحان وهم فى صحة جيدة فيهولهم الموقف ، وتضطرب أعصابهم ، ولا يستطيعون

أن يؤدوا الامتحان كما يجب ، وكما كان ينتظر منهم .

هذه وغيرها هى الأسباب التى دعت المدافعين عن البنت والمدافعين عن الولد أيضاً إلى عدم الوثوق بنتائج الامتحانات ، وإلى القول بعدم صلاحيتها لأن تكون وسيلة للحكم على مواهب البنت أو الولد العقلية .

— ١١ —

ولكنا مع ذلك نود أن نصف لك بعض الأبحاث التى قام بها المربون فى هذا الموضوع ، ونذكر لك النتائج التى وصلوا إليها ، ثم نترك لك الحكم النهائى بعد موازنة هذه النتائج بنتائج الأبحاث السابقة فنقول : —

(١) قد بحثت اللجنة الاستشارية بوزارة المعارف البريطانية سنة ١٩٢٢ الفروق التى بين البنين والبنات من الناحية الآنفة الذكر ، مستندة فى بحثها إلى الدرجات التى حصل عليها كل من الفريقين فى امتحانات كيمبردج المحلية فتبين لها :

« أن الدرجات التى نالها البنون كانت أعلى فى الرياضة — ومنها الحساب — وفى الطبيعة ، والكيمياء ، واللغة اللاتينية ، وكذلك فى الجغرافية الطبيعية ، وأن البنات فقن البنين فى اللغة الانجليزية ، والتاريخ الانجليزى ، وعلم النبات ، والجغرافية ، واللغة الفرنسية كتابة ومحادثة ، وكذلك فى الرسم والتصوير » .

فالنتيجة العامة التى وصلت اليها هذه اللجنة بعد بحثها هى أن البنين على العموم فقن البنات فى اللغة اللاتينية والعلوم الرياضية وفى العلوم التى يتوقف النبوغ فيها على معرفة العلوم الرياضية كالطبيعة والكيمياء والميكانيكا ، وأن البنات قد سبقن البنين فى الآداب والتاريخ واللغات الحديثة ، وأنه لم تكن هناك فروق كبيرة بين الجنسين فى درجات المواد الأخرى .

(٢) قد قام بعض رجال التربية بأبحاث أخرى خاصة بنتائج الامتحانات

فى المدارس الابتدائية والثانوية فى بريطانيا فتبين لهم أن البنين يفوقون فى العلوم الرياضية ، فى حين أن البنات يسبقن فى الآداب واللغات الحديثة

ومن الهام أن نذكر من هؤلاء الباحثين الأستاذ بيرنس Burness رئيس احدى المدارس الثانوية الانجليزية التى يتعلم بها البنون والبنات معا . فحص هذا البحاثة مجموعات متعددة من نتائج الامتحانات التى عقدت فى سنين متعددة للبنين والبنات فوجد أنه ليس هناك فرق يذكر بين الجنسين فى الدرجات التى نالها كل من الفريقين فى مواد الدراسة ماعدا العلوم الرياضية التى كان للبنين منها الحظ الأوفر .

وقد اقتنع هذا الأستاذ بابحاثه هذه ، واطمأن إلى النتائج التى وصل إليها ، فرأى من الضرورى عند تدريس العلوم الرياضية عزل البنين عن البنات فى مدرسته .

فنستطيع أن نقول على وجه الإجمال إن هذه الابحاث الخاصة بنتائج الامتحانات قد بينت للباحثين أن البنين يسبقون البنات فى العلوم الرياضية والعلوم المرتبطة بها ، وأن البنات يسبقن فى الآداب والفنون .

وإذا رجعت إلى ماوصل إليه العلماء باتباع الوسيلة الأولى وجدت مشابهة كبيرة بين النتيجتين

على أن هناك وسيلة ثالثة ربما تعد أدق من الوسيلتين اللتين ذكرناهما ، وهى التى سنحدثك عنها فى العدد الآتى إن شاء الله ؟

حامد عبد القادر